معاداة السامية في الولايات المتحدة الأمريكي

حتى عام ١٩٤٥

أ.د صادق حسن السوداني

قسم التاريخ / كلية الآداب –جامعة بغداد

معاداة السامية في الولايات المتحدة الأمريكي حتى عام ١٩٤٥ :

معاداة السامية(*) تعني "كره اليهود أكثر مما هو ضروري" هذه المقولة يهودية بالطبع . الحقيقة ليس هناك معاد للسامية ينتقد اليهودي أكثر مما هو ينتقد نفسه . هذا موجود منذ عهد موسى حين وجد بني إسرائيل يعبدون العجل الذهبي ودمره أمام أعينهم ،ومنذ جرميا وايسايا حين هاجما الحادية بني إسرائيل . كار ل ماركس (١٨١٨-١٨٨٣) كان يسير على خطى الأنبياء حين أعلن بان اليهودية لا شيء أكثر من كونها جمع مال واستغلال . معاداة السامية كانت حادة لدرجة ان الكثير من طبعات أعماله ،وفي الغالب تحت تأثير معدين أو محررين يهود لهم ميول اشتراكية ،حذفت أكثر المقاطع هجوماً على اليهود(١) .

وبما إن اليهود يصفون زيفاً كره الناس لهم بأنه معاداة للسامية- والصحيح معاداة لليهود – فان لهذا الكره ولا شك أسباب كثيرة منها إتهام المسيحيين القديم لهم بقتل السيد المسيح ،وعيشهم على شكل مجاميع منعزلة عن بقية الناس في غيتوات (جمع غيتو ghetto وهو الحي المغلق أو شبه المغلق) خاصة بهم ، مما يزيد من ريبة جيرانهم خاصة والناس كافة بهم . فضلاً عن انتشار الصورة الشايلوكية Shylock لليهود كمرابي لئيم منذ رسمها الأديب الإنكليزي الأشهر وليم شكسبير William Shakespeare (١٥٦٤-١٦١٦) في مسرحيته "تاجر البندقية" "Merchant of Venice" التي صدرت سنة ١٥٩٦ . هذا إضافة إلى اتهام

المتكرر والقيود المفروضة عليهم ومعاملتهم كمواطنين من الدرجة الثانية ظلوا هناك حتى أبعدهم الملك ادوارد الأول (١٢٣٩-١٣٠٧ /١٢٧٢-١٣٠٧) من مملكته سنة ١٢٩٠ . إن إبعاد اليهود من إنكلترا القروسطية عكس انتصار معاداة السامية الكامن أو المستترد وما في العالم المسيحي .

وقد اتهم اليهود اثناء الحروب الصليبية بأنهم كانوا يضحون بأطفال مسيحيين في طقوسهم الدينية . ويبدو أن جذور هذا الاعتقاد تعود إلى حكايات القرن الخامس الميلادي التي تقول أن مجموعة من اليهود عذبوا وقتلوا طفلاً مسيحياً ليسخروا من السيد المسيح . واختفت هذه الحكاية لتعود من جديد في القرن الثاني عشر الميلادي أثناء الحروب الصليبية .

ورغم شجب وإدانة وتكذيب البابوات- كريكوري العاشر (١٢٧١-١٢٧٦)انوسنت الرابع (١٢٤٣-١٢٥٤) ، كليمنت الرابع (١٢٦٥-١٢٦٨) ، انوسنت الخامس (١٢٧٦-١٢٧٦) ، نيكولاس الخامس (١٣٢٨-١٣٣٠) ، مارك الخامس (١٤١٧-١٤٣١) ، بول الثالث (١٥٣٤-١٥٤٩) ، بنيكت الرابع عشر (١٧٤٠-١٧٥٨) ، كليمنت الثالث عشر (١٧٥٨-١٧٦٩) ، كليمنت الرابع عشر (١٧٦٩-١٧٧٤) ، يوحنا الثالث والعشرين (١٩٥٨-١٩٦٣) وكبار رجال الدين لذلك فان هذه الفكرة ما زالت حية ويتمسك بها الكثير من المسيحيين ويؤمنون بها ليبرروا أفعالهم غير المسيحية .

وساهمت مسرحية شكسبير الشهيرة "تاجر البندقية " في رسم صورة بشعة لليهودي من خلال التاجر اليهودي السيئ الصيت "شايلوك" الذي يصر على اخذ دينه حتى لو كان على شكل دم ولحم إنسان مسيحي . ومنذ العصور الوسطى حمل اليهودي صورة المستغل الاقتصادي للمسيحيين .

البابا انوسنت الثالث (١١٩٨-١٢١٦) ، الأكثر نفوذاً بين بابوات العصور الوسطى ، ترأس مجمع لاتيران الكنسي الرابع سنة ١٢١٥ الذي أصدر مرسوماً قرر بموجبه آن يرتدي غير اليهود زياً خاصاً . اليهود خاصة منعوا من الظهور علناً

New Testament صور اليهود باعتبارهم قتلة آثمين أو أشرار ، وكذلك ذكروا على نحو متواصل ، باعتبارهم متآمرين على قتل المسيحيين . ناهيك عن الكتابات المسيحية التي امتلأت بالحقد على اليهود صورتهم على أنهم مضطهدي السيد المسيح .

شهد القرن الرابع الميلادي اعتناق الإمبراطور قسطنطين سنة ٣٢٧ للمسيحية ليفتح الباب بذلك أمامها لتصبح فيما بعد الدين الرسمي للإمبراطورية الرومانية .فانتشرت المسيحية في أوربا خلال القرون التالية .إنكلترا أصبحت مسيحية في القرن السابع الميلادي ، سكسونيا وبوهيميا في القرن التاسع ، اسكندنافيا وبولندة في القرن العاشر ، وفي القرن الحادي عشر أصبحت المسيحية عموماً دين أوربا.

في القرن الرابع الميلادي صور اليهود من قبل الكتاب المسيحيين باعتبارهم مليئين بالخديعة والحقد وأنهم متحالفين مع الشيطان . اللاهوتي اليوناني القديس جون كريسوستم (٣٤٧-٤٠٧م) كتب بان "اليهود أهل لجميع الرذائل ومجهولين على سفك الدماء " أما القديس أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠ م) ،الذي ربما كان أكثر اللاهوتيين في عصره تأثيرا ، فقد قال بان " اليهود على الدوام أناس أشرار ولا يمكن إن يكونوا المفضلين عند الله أو أحبائه " وقال أوغسطين إن اليهود يجب أن يسمح لهم بالعيش في المجتمعات المسيحية حتى يذكروهم (المسيحيون) بوضاعتهم (اليهود) وخساستهم وإثمهم " ولكنه رفض قتلهم ، إلا انه حث المسيحيين على عدم نسيان آثام اليهود ،وجعلهم يتيهون .

في القرن السادس الميلادي ،الأساس المسيحي لبغض اليهود كان قد غرس بقوة .رغم ذلك منع البابا كريكوري الأول (٥٩٠-٦٠٤) اضطهاد اليهود . وخلال القرون الخمسة التالية لم تكن حياة اليهود الأوربيين غير مريحة ما عدا في أسبانيا حيث صدر مرسوم ملكي أرغم اليهود على اعتناق المسيحية سنة ١٦١٣ .وبعد توليه الحكم في إنكلترا سنة ١٠٦٦ استورد وليم الأول الشهير بالفاتح (١٠٢٧-١٠٧٨ /١٠٦٦-١٠٧٨) اليهود لخدمته من اجل إقامة نظام جديد . ورغم الإذلال

صغيراً ، مما أدى بالتالي إلى وصفهم بالدخلاء أو الأغراب(٦). ولكن هذا لا يمنع من القول ان المتاجر اليهودية كانت تدنس ما بين آونة وأخرى . وكلمة "يهودي" كانت كلمة قذرة والصحافة عادة تطرح صورة مشوهة عن الحياة اليهودية في المستعمرات والخارج . ولكن على الرغم من إن اليهود كانوا ما يزالون يعاملون كمواطنين من الدرجة الثانية ، فان أعمال العنف ضد اليهود كانت نادرة جداً . اليهود الأثرياء مثل عائلة لوبيز ومجهزي الجيش البريطاني بالتوينات من عائلة فرانكس كانوا موضع احترام شديد. بل كان أبناء العائلتين مؤثرين حتى في الدوائر السياسية. لقد قبل اليهود في المستوطنات الأمريكية الشمالية الإنكليزية للحاجة لهم رجالاً ومالاً وخبرة ومهارة(٧) .

لكن هذا لا يعني بان اعداداً كبيرة من الناس لم تشعر بالعداء نحو اليهود . لقد شعروا بذلك وفعلوا . ولكن عداوتهم اتخذت غالباً شكل تمييز اقتصادي واجتماعي . ولكن قسوة مثل هذا التمييز يجب أن لا يبخس قدرها . قد لا تكون وحشية كالاضطهاد المكشوف ولكن لها رعبها الخاص بها . وبما أنها تتميز بالمراوغة فإنها غالباً ما تكون أكثر إيذاء وجرحاً لمشاعر ضحاياها .إذا أراد اليهودي القادم عملاً ولم يعط مثل هذا العمل ،رغم انه مؤهل له ، فانه سيشعر بالظلم ولكن ان قال إنها "معاداة سامية" فانه سيتهم بالعدوانية ،أو أن أصحاب العمل على حق بتفادي الاتصال باليهود(٨) .

على الرغم من ذلك كانت الولايات المتحدة أفضل من أوربا من حيث التعامل مع اليهود . كتب الحاخام كيرشو منديس سيكاس من نيويورك سنة ١٨١١ يقول " الولايات المتحدة ربما كانت المكان الوحيد الذي لم يعانِ فيه اليهود من الاضطهاد ، بل على العكس شجعوا وسمح لهم بالتمتع بحقوق المواطنين " . وفي حين انه صحيح أن معاداة السامية الأمريكية لم تصل الى درجة ما حققته معاداة السامية الأوربية من نتائج مهلكة ، إلا إن التحامل ضد اليهود خفياً أم علنياً كان موجوداً حتى بشكله الحاد في الولايات المتحدة عبر تاريخها .

خلال أسبوع الآلام Holy Week الذي يسبق عيد الفصح Easter لان لباسهم المعتاد يفسر على انه سخرية بالمسيحيين الذين يرتدون ملابس الحداد .

بل حتى الطاعون الأسود Black death الذي أصاب أوربا سنة ١٣٤٧ وفتك على مدى ثلاث سنوات بثلث سكانها عزاه البعض من المسيحيين الحاقدين على اليهود إلى هؤلاء بحجة أنهم لوحدهم أو بمساعدة المجذومين سمموا آبار الماء من اجل استئصال المسيحيين . وقد شجع هذا الاتهام الكثيرين على الفتك باليهود في طول وعرض أوربا ، إذ تعرض الكثيرون منهم للقتل أو الاعتقال أو التعذيب ، ويمكن القول أن كل مجموعة يهودية في أوربا تعرضت لمثل هذا ما عدا يهود فينا وريخنزبرغ . ففي بلدة فرنسية واحدة تم حرق يهودها جميعاً على الخازوق ، وتم تدمير ما لا يقل عن مائتي جالية يهودية أوربية بكاملها .

ورغم أن حركة الإصلاح البروتستانتية في القرن السادس عشر أطاحت بالممارسات الدينية في شمال وغرب أوربا ،فإنها لم تفعل إلا القليل لتغيير وجهات النظر الشعبية تجاه اليهود(٣) .

يؤكد يافي إن المهاجر اليهودي ، قبل إن يحقق أيا من طموحاته في أمريكا ، كان عليه إن يحارب معركة رئيسة من معاركه ، نفس المعركة التي حاربها اليهود عبر العصور بأساليب مختلفة . العدو هو معاداة السامية ولكن معاداة السامية الأمريكية دائماً تختلف عن معاداة السامية الأوربية .الحكومات الأوربية غالباً ما اعتمدتها أداة لسياسة الدولة ، ووسيلة للفت انظار مواطنيها عن المشاكل الداخلية . الملكيات الوراثية استعملتها باسم المسيحية . ولكن في أمريكا لم يكن لها قط موقع قانوني . ولقد كانت دائماً متفرقة أو متقطعة ،مندفعة وأحيانا جيشانا من الكره ، ولكنها لم تلق قط دعماً رسمياً او موافقة رسمية(٤) .

ورغم ما لقيه أول ٢٣ يهودي دخلوا نيوامستردام (نيويورك فيما بعد) سنة ١٦٥٤ على يد حاكمها الهولندي فان الهجرة اليهودية تواصلت إلى الولايات المتحدة. ومما يلفت النظر إن الحوادث ضد اليهود كانت قليلة في المستعمرات الأمريكية الشمالية(٥) . هذا على الرغم من إن عدد اليهود في هذه المستعمرات كان

سياسي له يهودا بنيامين ، وزير خارجية الاتحاد الكونفدرالي الجنوبي او الكونفدريت Confederacy او Confederate ، لم يتردد في النيل منه او السخرية من يهوديته . ويدعي اليهود ان من اهم الشخصيات التي أظهرت نزعات معادية للسامية الجنرالين الشماليين وليم شيرمان وبنيامين بتلروالقس البروتستانتي وليم براونلو وعضو مجلس النواب الامريكي هنري فوت والسيناتور هنري ولسن عضو مجلس الشيوخ(١٢) .

في صيف ١٨٧٧ رفض السماح لمصرفي يهودي بارز من نيويورك هوجوزيف سيلكمان بالإقامة في فندق كراند يونيون في ساراتوغا سبرنكز (منطقة ذات طبيعة سياحية صحية في ولاية نيويورك) ، مما اثر نزعة متنامية باتجاه أبعاد اليهود ، حتى الأثرياء منهم ،من مثل هذه المناطق .وقد استقطب الحادث اهتماماً وتعليقات مختلفة واسعة في الصحافة . من بين إعلانات المصيف أعلاه في ثمانينيات القرن التاسع عشر " لسنا على استعداد لخدمة أو الترفيه عن اليهود" وكانت النوادي الاجتماعية المهمة تشهد تمييزاً مماثلا مثل نادي العصبة الاتحادية الذي حظر على اليهود الحصول على عضويته بل ولم يكن الأطفال اليهود موضع ترحيب في المدارس الخاصة، إذ أغلقت أبوابها بوجوههم. كما لم يكن اليهود موضع ترحيب في أية مؤسسة أو رابطة لها وزن واعتبار اجتماعي(١٣) .

يؤكد ساكر انه حتى ١٨٨٠ لم تكن الجالية اليهودية الأمريكية بحاجة لإعطاء اهتمام أكثر من اسمي لمشكلة معاداة السامية . انه أمر صحيح أن هناك صورة مشوهة في الكثير من أذهان الأمريكان كانت موجودة ، صورة التاجر المتجول اليهودي الالماني بلهجته الثقيلة غير الواضحة ،وانفه المعقوف وقبعته السوداء المستديرة وخلال تسعينيات القرن التاسع عشر التصقت صورة الصراف اليهودي كممول معروف ومشهور مثل آل لفيز ،مونتفيوري ، روتشيلد ، وفي الولايات المتحدة ، آل بلمونتس وال ليهمانز . لم يكن من الصعب على الفلاح البروتستانتي أن يؤمن بان اليهود أعضاء في " مؤامرة دولية كبرى " لمنع وصول المال الرخيص إلى السوق وإبقاء العوائل الأمريكية الفلاحية في دين مزمن. ورجال مثل الحاكم توم واطسن من جورجيا ووليم جنكنز بريان من نبراسكا لفتوا الانتباه إلى القوى المالية

المستوطنون الأوائل في أمريكا حملوا معهم النماذج القديمة التي رسموها لليهودي في أذهانهم وأولها انه غريب أو دخيل وغامض وهرطقي Heretic ونهاب وجشع . ولكن هذه البغضاء نادراً ما عبرت عن نفسها بشكل عملي او تصرفات عملية ضد اليهود . رغم ذلك كانت هناك هيجانات معادية للسامية . الصراع السياسي بين الفدراليين(**) والجمهوريين(***) عند إطلالة القرن التاسع عشر اثر الكثير من البغضاء لليهود الذين كانوا يناصرون توماس جفرسن (الجمهوري) .لذا لا غرابة إن نسمع فدرالياً يشجب الجمعية الجمهورية الديمقراطية المحلية بقوله ان "اعضاءها على ما يظهر من قبيلة شايلوك " في ١٨٠٩ جيكوب هنري لم يتمكن في البداية من احتلال مقعده ،الذي انتخب له في مجلس عموم ولاية كارولينا الشمالية ، ولكنه تمكن من ذلك فيما بعد بحيلة قانونية . موردخاي نوح ، واحد من ابرز الشخصيات اليهودية في تلك الفترة ،استدعي سنة ١٨١٥ من قبل وزير الخارجية جيمس مونرو من وظيفته كقنصل للولايات المتحدة في تونس بحجة ان معتقده الديني ، اليهودية ، اثر على أدائه لمهامه وواجباته(٩). في ١٨٢٠ رئيس تحرير الصحيفة البارزة "تايلزويكلي ريجستر" Niles Weekly Register" كتب بان اليهود لا يعملون شيئاً وبأنهم أناس لا وطن لهم . أوربا ليفي ، ضابط في القوة البحرية الأمريكية ، حوكم من قبل محاكم عسكرية بسبب ، كما زعم البغضاء ليهوديته(١٠) .

يمكن القول إن التحامل والبغضاء لليهود خلال الفترة الممتدة بين الاستقلال سنة ١٧٧٦ والحرب الأهلية سنة ١٨٦١ ، رغم وجودها بشكل ترديد صورة شايلوك والصور المشابهة لذلك لم تمس او تعتدي على حقوق الجالية اليهودية الصغيرة نسبياً(١١) .

إما إثناء الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١-١٨٦٥) ، فقد أطلق الاضطراب الاقتصادي والمشاعر المتأججة خلال تلك السنوات الحرجة العنان للبغضاء والتحامل الذي كان يخبو تحت السطح . في كل من الشمال والجنوب اتهم اليهود من قبل بعض الصحف والقادة السياسيين بتقديم المساعدة للعدو ، وبالتهريب وبالإثراء على حساب الطرفين والتملص من اداء الخدمة العسكرية والمضاربة التجارية . تقريباً كل خصم

" عصبة مكافحة الافتراء Anti-Defamation League" التي ما تزال تتسلم أموالا من المنظمة ألام ولكنها تعمل باستقلالية ذاتية تامة . أساليب العصبة كانت أكثر هجومية وربما عدوانية من تلك التي استعملتها اللجنة إذ إن العصبة لم تتردد في استخدام الضغط وربما التهديد وليس الإقناع كما حرصت على ذلك اللجنة(١٧). ثم تأسس " المؤتمر اليهودي الامريكي "American Jewish Congress" سنة ١٩٢٠ ليكمل المهمة(١٨). واحدة من اكبر واخطر القضايا التي واجهت الجالية اليهودية في الربع الاول من القرن العشرين هي الحركة الناشطة في الولايات المتحدة لفرض قيود على الهجرة للولايات المتحدة . على الرغم من عدم وجود شيء معادي للسامية في التشريعات التي اثمرتها حركة التغيير ،كان واضحاً بان قادة الحركة مثل السيناتور هنري كابوت لودج ، برسكوت هول ، حون كومونز ، هنري برات فيرجايلد ،ادوارد روس ، اعتبروا الهجرة اليهودية مضرة برخاء ورفاهية الامة الامريكية ، مما جعلهم معادين للسامية في اعين اليهود .روسي، على سبيل المثال توقع حدوث مظاهرات واعمال شغب وتشريعات معادية لليهود اذا ما استمرت الهجرة بلا قيود . ما ديسن كرانت الذي عده اليهود الامريكان الناشطين عنصري من الطراز الاول ، شجب اليهود سنة ١٩١٦ لدورهم في تهجين الامة . بيرثن هندريك، صحفي مشهور ،وكينيث روبرتس ،روائي معروف ، دعوا في العشرينات الى فرض قيود على الهجرة اليهودية للبلاد . النتيجة النهائية لحملة فرض قيود على الهجرة كانت صدور قانون الهجرة لسنة ١٩٢٤ الذي وضع قيوداً على الهجرة(١٩) .

ومما عزز من مواقع المعادين للسامية انبعاث منظمة الكوكلكس كلان Ku Klux Klan(٢٠) في ١٩١٥ من جديد ،وكانت قد تاسست اصلاً في ستينات القرن التاسع عشر ، لتضيف الى كرهها المتاصل للزنوج كرهين جديدين هما كره الكاثوليك وكره اليهود . وقالت ان بناء امريكا حقيقية لا يمكن ان يتحقق واليهود موجودين ، اذ ان وجودهم يشكل عائقاً في طريق اقامة امة امريكية حقيقية(٢١) .

الغامضة وغير المرئية للعالم ، لذا لم يتورعوا عن أن يطلقوا على رجال المال اليهود أسماء شايلوك او إخطبوط عالم المال . بل أن رواية خيالية كتبت سنة ١٨٩٠ من قبل اغناطيوس دونللي عنوانها " رتل القيصر " رسمت صورة قوية عن الهيمنة المستقبلية على أوربا من قبل اليهود ، اشهر جامعي المال ومحصليه في العالم الذين تحولوا من تجار ملابس قديمة وتجار متجولين بقبعات إلى تجار وصيارفة وأمراء مال . واثر هذه الرواية في الناس ورسمها صورة قاتمة لليهود ، كانت في أذهان المؤتمرين الصهاينة في المؤتمر الصهيوني الأول الذي عقد في مدينة بازل السويسرية في سنة ١٨٩٧ . ورغم ذلك فان الموقف إزاء اليهود عند معظم الأمريكان كان في أسوأ الأحوال مجرد ارتياب مبهم او غامض وأناسا مثل دونللي ما زالوا على حد قول ساكر ، يمثلون الجناح المتطرف في عدائه لليهود في الحياة الأمريكية .وان كان هذا الجناح ضم أناسا مشهورين من أمثال الروائي الأمريكي هنري جيمس (١٨٤٣-١٩١٦) الذي حين عاد إلى بلاده من إنكلترا سنة ١٩٠٧ صعق حين رأى ما اسماه بـ "الفتح العبري لنيويورك" الذي أصر على انه حول المدينة إلى " قدس جديدة " . إما أبناء الريف الامريكي فقد اعتبروا كل صاحب متجر يهودي حارساً متقدماً للمدينة التجارية الجديدة ،وحاملاً لبذور التهديد لأمنه(١٤) .

وقد أججت هجرة يهود شرق أوربا للولايات المتحدة في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين معاداة السامية ، لتدفق مئات الألوف على الولايات المتحدة ،الأمر الذي ألهب المشاعر المعادية لليهود ، خاصة بعد إن وصل عدد اليهود في ١٩٢٥ إلى ما يقرب من أربعة ملايين شخص . من جانبهم لم يقبل اليهود معاداة السامية دون احتجاج تقودهم في ذلك الجالية اليهودية الألمانية(١٥) . ففي ١٩٠٦ أسس اليهود الألمان الأثرياء "اللجنة اليهودية الأمريكية American Jewish Committee لمساعدة ضحايا المذابح الروسية(١٦) ، والتصدي بأسلوب مناسب لمعاداة السامية في الداخل بإقناع الناس المهيمن من غير اليهود باستخدام نفوذهم وتأثيرهم ضد التمييز . في ١٩١٣ أسست منظمة بناي بريث Bnai Brith اليهودية التي تأسست أصلا سنة ١٨٤٣ ، منظمتها غير العادية

ذلك ظلت البروتوكولات المذكورة وصورة شايلوك اسلحة في ترسانة المعادين لليهود(٢٥) .

ان شكل التمييز الاجتماعي الذي اقلق اليهود بشكل مباشر هو في ميدان التعليم العالي ، الذي حرص اليهود على دخوله باعداد كبيرة اكثر من اية مجموعة اخرى مهاجرة باعتباره المفتاح للتقدم الاقتصادي والثقافي . الكثير من الكليات والجامعات وخاصة الراقية منها وضعت حصصاً للطلبة اليهود كما حصل في هارفارد في العشرينات . والشيء نفسه يقال عن ميدان المهن والتوظيف . اصحاب العمل كانوا يفضلون المسيحيين للمواقع المهمة .اما في ميدان دراسة الطب فقد كان اليهود يواجهون مصاعب في دخول الكليات الطبية في العشرينات والثلاثينات . يضاف لذلك ان الاطباء اليهود كانوا يواجهون مصاعب في الحصول على منصب طبيب مقيم او الحصول على مواقع قيادية في المستشفيات . وعلى الرغم من ان كليات القانون لم تميز ضد المتقدمين لها من اليهود ، فان المحامين اليهود عموماً لن يجدوا لهم مكاناً في الشركات الكبيرة والرصينة . ولكن تولي النازيين الحكم في ألمانيا أوائل ١٩٣٣ أضاف أبعادا سياسية وإيديولوجية لكره اليهود إضافة إلى التمييز الاجتماعي الذي كانت عليه معاداة السامية .

إن التأثير المشترك للركود او الكساد العظيم (١٩٢٩-١٩٣٣) ،وكره أعداء السامية الهستيري للرئيس فرانكلين ديلانو روزفلت (١٨٨٢-١٩٤٥/ ١٩٣٣-١٩٤٥) ، وانتصار النازية في ألمانيا أدت إلى ازدياد الدعاية المعادية للسامية في الولايات المتحدة . إن الأفكار الرئيسية لهذه الدعاية اعتمدت على "البروتوكولات" "وعلى اليهودي العالمي"(*****)أو اليهودي التائه Wandering Jew "(******) وإعادة الحياة للتهم القديمة بوجود مؤامرة يهودية دولية ، أضيف لها مسؤولية اليهود عن الركود وسيطرتهم على الإدارة الأمريكية في عهد الرئيس روزفلت لعلاقته الحميمة مع اليهود وكون الكثير من اقرب أصدقائه يهودا . معاداة السامية الموحى بها نازياً نشرت من قبل منظمات مثل "أصدقاء ألمانيا الجديدة " ،و "الجمعية الأمريكية-الألمانية" " الموالية للنازية. الأكثر خطورة عودة النمط ألفلاحي المحلي من المعادين للسامية . ومن بين ابرز قادة هذا النمط او الاتجاه وليم درلي بلي ،

ومما زاد الطين بلة وزاد من حراجة موقف اليهود في الولايات المتحدة ظهور طبعة امريكية سنة ١٩٢٠ من "بروتوكولات حكماء صهيون"[٢٢] Protocols of the Elders of Eion التي يدعي اليهود انها زائفة ولا صحة لها، ليتبعها كتاب يعتمد عليها عنوانه "سبب عدم استقرار العالم " . ان الرسالة الاساسية لمجلدات هذا الكتاب هي ان الثورة البلشفية كانت يهودية اصلاً ،وجزء من مؤامرة يهودية دولية لتحطيم وتدمير العالم المسيحي والسيطرة على العالم . في مايس ١٩٢٠ "ذي ديربورن اند بندنت The Dearborn Independent" ،وهي مجلة اسبوعية يملكها ويصدرها هنري فورد (١٨٦٣-١٩٤٧) ، ملك صناعة السيارات الامريكي ، شنت حملة معادية للسامية لا سابقة لها في الولايات المتحدة استمرت بقوة وكثافة متفاوتة ، لسبع سنوات تقريباً. اتهمت المجلة اليهود الامريكان بالتآمر لتقويض الاساليب الامريكية التقليدية[٢٣] .

ومن بين مانشيتات المجلة التي كانت تقرا من قبل٧٠٠ الف قارىء، الكثيرة "المقامرون اليهود يفسدون البيسبول" ،" الجاز اليهودي صارت موسيقانا الوطنية " ، "اليهود يحركون غير اليهود وكانهم دمى" و"طاق الدكتاتورية اليهودية في امريكا". باختصار المجلة " لا مت اليهود على كل شيء من الشيوعية الى الجاز، على فساد الاخلاق وعلى ظهور التنورات القصيرة "[٢٤].

لقيت الحملة الدعائية لهنري فورد قبولاً في المناطق الريفية والبلدات الصغيرة ،ولكنها ووجهت بردة فعل سلبية في المناطق الحضرية الكبيرة وبين صناع السياسة والراي العام الامريكي البارزين . وعلى الرغم من الادانات لتلك الحملة ، كما حصل في ١٦ كانون الثاني ١٩٢١ ، حين وقع ١١٩ امريكياً بارزاً ، يتقدمهم الرئيس وودرو ولسن (١٨٥٦-١٩٢٤/ ١٩١٣-١٩٢١)(****) وسلفه الرئيس وليم هوارد تافت (١٨٥٧-١٩٣٠ / ١٩٠٩-١٩١٣) تصريحاً بشجب "الافتراءات" ضد اليهود ، استمرت حملة فورد دون توقف حتى سنة ١٩٢٧ ، تحت ضغط مقاطعة غير رسمية من المستهلكين والعديد من الدعاوى القضائية ، مما اضطر فورد الى اصدار اعتذار علني عن طريق لويس مارشال رئيس اللجنة اليهودية الامريكية .رغم

خطب جارلس لندبرغ[٣٠] بطل الملاحة الجوية الامريكية المشهور ، متهماً اليهود بانهم القوة الاكثر خطورة التي تريد دفع الولايات المتحدة الى دخول الحرب . على الرغم من ان خطبة لندبرغ ادت الى استقالة احتجاجية من الاعضاء " الاكثر ليرالية " في اللجنة ، واصل لندبرغ والجناح "المحافظ" في اللجنة حملتهم الدعائية . ملاحظات مماثلة لملاحظات لندبرغ سمعت في الكونغرس من شخصيات تؤيد سياسة العزلة Isolation Policy منهم السيناتور بيرتن ديلر والسيناتور جيرالدني . بعد الهجوم على بيرل هاربر يوم ٧ كانون الاول ١٩٤٧ واعلان الولايات المتحدة الحرب بسببه على اليابان في اليوم التالي ، واعلان المانيا النازية وايطاليا الفاشية الحرب عليها في ١١ كانون الاول ١٩٤١ لتحالفها مع اليابان انكمشت الدعاية المعادية للسامية وضعفت . ولكن رغم ذلك ، اثارت تشنجات سنوات الحرب مقداراً كبيراً من العواطف المعادية لليهود. في سنة ١٩٤٤ على سبيل المثال ، اظهر استطلاع للرأي ان ٢٤% من المشتركين فيه انهم مازالوا يعتبرون اليهود خطراً على أمريكا ، وما بين ثلث ونصف سيدعمون اية حملة محتملة معادية للسامية[٣١] .

لا بد من القول انه من المشكوك فيه تماماً ان معاداة السامية حتى في أوجها وذروتها ، في الثلاثينيات وأوائل الأربعينيات ،كانت تشكل أي تهديد كبير لأمن الجالية اليهودية في الولايات المتحدة. المشكلة كانت هي في قبول اليهود اجتماعياً ، وفي الجامعات ، وفي الجهات المهنية وبعض الأعمال ،الأحياء السكنية والنوادي الاجتماعية . لم يكن هناك قطعاً أي خطر جدي كبير على امن الجالية اليهودية الامريكية[٣٢] .

الهوامش :

(*) إن لفظ سام مأخوذ من الإصحاح العاشر من سفر التكوين (التوراة) * يعتقد بان أول من استعمل لفظ اللاسامية لتعني ،كراهية الناس لليهود ،هو ولهلم مار نحو سنة ١٨٧٩ ، وهو من ،اصل، يهودي. وبذلك أصبحت اللاسامية تعني اللايهودية . وبما إن لفظ يهودي اكتسب عند كثير من الشعوب ظلالا قبيحة

مؤسس ذوي القمصان الفضية ، جيرالد ونرود ، جيرالد سمث ، جيرالد ديترريج ، وفرسان الوردة البيضاء Knights of the White Camellia (من تنظيمات الكوكلكس كلان) ، والميجر جنرال (اللواء) جورج فان هولي موزلي[٢٦] . ومن المنظمات التي لم تخف كرهها لليهود "ذوي القمصان الكاكية" "الوطنيون المسيحيون المقاتلون " و" شباب الجبال الخضر ". وكالعادة وصف اليهود هذه التنظيمات بانها ديماكوكية مهووسة تمول من قبل جهات عرقية تثير الاحقاد الدينية والعرقية[٢٧] .

ابرز المعادين للسامية في الثلاثينيات هو جارلس كوكلن ، قس كاثوليكي من مدينة ديترويت بولاية مشيكان ، ومن المعادية للمنهاج او البرنامج الجديد New Deal (برنامج اقتصادي اجتماعي اعلنه الرئيس روزفلت في الثلاثينات للتخفيف من حدة معاناة الركود العظيم الذي عانت منه الولايات المتحدة وغيرها بشدة بين ١٩٢٩-١٩٣٣ ، والذي وصف من قبل المعادين لليهود وله بـ : المنهاج اليهودي Jew Deal طرح كوكلن أفكاره عبر الراديو أسبوعيا ليسمعها الملايين من المستمعين ، بل وشن هجوما عنيفا ضد اليهود سنة ١٩٣٨[٢٨] . ويؤكد كوينلي إن أراء كوكلن السياسية كانت تلقى المساندة من قبل اكثر من ربع السكان[٢٩] . مجلة "سويشيال جستس Social Justice "اعادت طبع "البروتوكولات" مع تعليقات لكوكلن يلقي فيها تبعة المحنة التي يعيشها العالم بسبب الركود العظيم على اليهود . أعمال شغب في الشوارع واضطرابات حدثت حين بيعت مجلته في المدن الكبرى . لقيت حملة كوكلن دعماً من بعض النشريات الكاثوليكية مثل "بوسطن بايلوت Boston Pilot" و " بروكلين تابلت Brooklyn Tablet" . تقف وراء هذه النشريات " الجبهة المسيحية Christian Front" التي يهيمن عليها الكاثوليك الايرلنديون ، التي يقودها جون ماك وليامز والتي كانت تعقد اجتماعات في زوايا الشوارع وتشرف على حملة مقاطعة للتجار اليهود .

ان اقتراب الحرب العالمية الثانية في اواخر الثلاثينيات شهد تشكيل حركة انعزالية قوية في الولايات المتحدة وهي " لجنة امريكا اولاً The America First Committee" التي تشكلت سنة ١٩٤٠ ،واجتذبت تحت شعارها الكثير من المعادين للسامية في احد الاجتماعات الحاشدة التي عقدتها اللجنة يوم ١١ ايلول ١٩٤١

12. Ibid ,Col .1649.
13. Yaffe, Op. Cit., P.39; Fishman, Op. Cit., P. 32; Judaica, Vol. 15, Cols. 1649-1650 .
14. Sachar , Howard , The Course of Modern Jewish History , London, Weidenfeld and Nicolson , 1958, PP.338-339. See also Collins, P.294.

١٥. وصل اليهود إلى الولايات المتحدة عبر أربع موجات هجرة رئيسة هي حسب تسلسلها الزمني:

أ- الموجة السفردية الصغيرة نسبيا ، والتي بدأت سنة ١٦٥٤ بـ٢٣ يهوديا.

ب- الموجة الألمانية التي بدأت سنة ١٨٢٨ليقفز فيها عدد اليهود من أربعة ألاف سنة ١٨٢ إلى ٢٨٠الف سنة ١٨٨٠.

ج-الموجة الاشكنازية الكبرى ،وضمت يهود شرق أوربا وبدأت في ثمانينات القرن التاسع عشر ووصل عبرها ٢,٨ مليون يهودي مابين١٨٨٠ و١٩٢٥

د- الموجة الرابعة التي بدأت بعد تولي النازيين الحكم في ألمانيا في أوائل ١٩٣٣ وشملت أيضا الهجرات اليهودية بعد الحرب العالمية الثانية .

١٦. المذابح التي اعقبت اغتيال القيصر الروسي الاسكندر الثاني (١٨١٨-١٨٨١ / ١٨٥٥- ١٨٨١) في بطر سبرغ في آذار ١٨٨٨، لتورط يهودية هي هسيا هلغمان بعملية الاغتيال ، واسفر عنها تقييد حركة اليهود الروس واغلاق الكثير من المناطق بوجههم بموجب قوانين ٣ مايس ١٨٨٢ التي اصدرها القيصر الاسكندر الثالث (١٨٤٥- ١٨٩٤/ ١٨٨١- ١٨٩٤) ،وابعاد اليهود عن موسكو سنة ١٨٩٠،والحرب الروسية- اليابانية ١٩٠٤-١٩٠٥والتي انتهت بهزيمة النظام القيصري ،وثورة ١٩٠٥الروسية ، ومذابح ١٩٠٣-١٩٠٧ في عهد القيصر نيقولا الثاني (١٨٦٨-١٩١٨/١٨٩٤-١٩١٧).

17. Yaffe , Op. Cit., P.39.
18. Judaica , Vol. 15 , Col. 1650.

١٩. مرسوم جونسن لسنة ١٩٢٤ لم يحدد الهجرة الاجنبية بـ(١٥٤) الف فقط ولكنه اعطى افضلية كبيرة جدا للمهاجرين من شمال وغرب اوربا . وحقق ذلك

لظروف تاريخية شارك اليهود أنفسهم في خلقها ،فأصبح مجرد اللفظ مقرونا بلشح والخزي وصفات أخرى كثيرة .. لذا بحث ،الصهاينة ،عن لفظ آخر ليس له تلك الظلال القاتمة ،فاخترعوا لفظ السامية أو لنقل اتخذوه ليكن قاصرا على اليهود دون سائر الشعوب السامية الأخرى ،وهكذا صار عداء اليهود عداء للسامية. ولا بد من التذكير هنا إن العلامة شلوتزر هو أول من استعمل تسمية، السامية، وأطلقها سنة ١٧٨١ على الشعوب التي زعم إنها انحدرت من صلب سام بن نوح.انظر الجبوري، عبد الوهاب محمد،اللاسامية في الفكر الصهيوني: الجذور التاريخية والأهداف،بغداد،دار الجاحظ للنشر،سلسلة الموسوعة الصغيرة رقم ١١٩ ،١٩٨٢ ،ص ص ١١ ، ٢٣ ــ ٢٤ .

1. Yaffe, James , The American Jews , New York , Random House , 1968 , P273.
2. Collins Concise Encyclopedia , London , Peerage Books , 1985, P.512; Quinley , Harold E. and Charles Y. Click, Anti- Semitism in America , New York , The Free press , pp. 2-4 .
3. Dinnerstein, Leonard , Anti-Semitism in America, New York , Oxford University press , 1994 , pp. Xix -Xxvi.
4. Yaffe, Op. Cit., p . 38.
5. Encyclopedia Judaica, Jerusalem, 1972 , Vol. 15 , Col.1589.
6. Fishman , Priscilla (ed.) , The Jews of the united states , Jerusalem , Keter publishing House , 1474, P. 13.
7. Judaica , Vol. 15 , col . 1589.
8. Yaffe, Op. Cit. PP.38-39.

(*) الفدراليون Federalists بقيادة الكسندر هاملتن كانوا يميلون الى المركزية في الحكم . انظر Collins, P.201 .

(**) كانوا يعرفون رسمياً باسم الجمهوريين الديمقراطيين Demecratic Republicans وشهرتهم الجمهوريين . انظر Collins , pp.167 , 295 .

٩. للمزيد من التفاصيل عن نوح واسباب عزله انظر

Marcus , Jacob Rader , Memoirs of Americen Jews 1775-1865, Vol.I, New York , 1955, PP. 117-145.

10. Judaica , Vol.15 ,Col. 1648.
11. Ibid.

(*****) كتاب من إعداد ملك صناعة السيارات الامريكي هنري فورد (١٨٦٣-١٩٤٧) صدر اولاً على شكل مقالات نشرت في جريدة Dearborn Independent التي كانت الناطق الرسمي بلسان شركة فورد للسيارات ، ثم جمعت في كتاب صدر بهذا العنوان "اليهودي العالمي" سنة ١٩٢١. قامت المنظمات اليهودية بجمعه من الأسواق والمكتبات فور صدوره . وتعرض فورد وأسرته إلى التهديد والوعيد . وأصبحت نسخ الكتاب التي بيعت فور صدوره نادرة للغاية ، حتى قيل أن النسخة الواحدة بيعت بثمانمائة دولار . الكتاب يتناول بروتوكولات حكماء صهيون ومحاولة تطبيقها على الممارسات اليهودية في الولايات المتحدة في جهد لإثبات صحة تلك البروتوكولات . انظر فورد، هنري (إعداد)، اليهودي العالمي، تعريب خيري حماد، بيروت، منشورات المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر ، ص ص ٦ ، ٩ ، ٤٧ .

(******) يهودي تذهب الأسطورة القروسطية إلى انه قد حكم عليه بالطواف حول الأرض حتى مجيء المسيح ثانية إلى هذا العالم جزاء له على هزئه به يوم صلبه . انظر قاموس المورد .

26. Ibid ., Cols. 1654- 1655.
27. Sachar, Op. Cit., P. 341 ; Quinley and Glock,Op.Cit., P.168.
28. Judaica , Vol. 15, Col. 1655; Quinley and Glock , Op. Cit., P.168-169; Yaffe . Op. Cit., PP.49-50.
29. Quinley and Glock, Op. Cit., P.169.

٣٠. جارلس لندبرغ (١٩٠٢-١٩٤٧) عبر المحيط الاطلسي في رحلة دون توقف بطائرته سنة ١٩٢٧ . انتقد لمواقفه الانعزالية المعادية لدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الثانية . انظر :

Collins, P. 335.

31. Judaica, Vol. 15, Cols. 1655-1656.
32. Sachar, Op. Cit., P. 342.

من خلال وضع نسبة ٢% من الاجانب الموجودين بالفعل في الولايات المتحدة سنة ١٨٩٠، أي اعتمدت السنة التي سبقت السنة التي وصلت فيها اعداد كبيرة من السلافيين والمتوسطيين (منطقة البحر المتوسط) الى الولايات المتحدة . وهذا يعني ان عدد الذين سيسمح لهم بدخول البلاد سنوياً لن يتجاوز (٥٩٨٢) مهاجر من بولندة و(٢١٤٨) من روسيا و(٧٤٩) من رومانيا. ولقد ظل نظام الحصص نافذاً بتفاصيله حتى اواخر العشرينات ، مما اغلق منفذ التدفق الواسع النطاق الذي دخل من خلاله ٢،٨ مليون يهودي الى الولايات المتحدة بين ١٨٨٠و ١٩٢٥. وان تاثير مرسوم جونسون هو التعجيل باقتراب السنة التي تكون فيها اغلبية يهود الولايات المتحدة مولودة في البلاد وهذا ما تحقق سنة ١٩٤٠ .

(***) Judaica,Vol. 15,Cols. 1625-1626; Fishman, Op. Cit., P.62.

٢٠. منظمة الكافات الثلاثة، تاسست اصلاً في ولاية تشسي الجنوبية سنة ١٨٦٦ للحفاظ على سيادة البيض على الولايات المتحدة، وبخاصة الجنوب . من شروط الانتماء لها ان يكون الراغب بروتستانتياً ابيضاً وكارهاً للسود ومؤيداً لسيادة البيض الكاملة. اضافت الى كرهها للسود سنة ١٩١٥ كره الكاثوليك واليهود والاجانب. رغم صدور قرار بحلها في ١٨٦٩ ظلت موجودة بالفعل من خلال تنظيمات محلية عديدة بسبب تغاضي السلطات في الولايات الجنوبية عنها. انظر

Collins , P. 317.

21. Fishman, Op. Cit., PP.61-62; Sachar, Op. Cit., P. 340.

٢٢. ظهرت اول طبعة منه سنة ١٩٠٥ كملحق لكراس ديني كتبه سيرجي نيلوس . استناداً الى نيلوس حكماء صهيون دخلوا اطرافاً في مؤامرة سرية لاستبعاد العالم المسيحي . انظر :

Sachar , Op. Cit., PP. 340- 342.

23. Judaica , Vol. 15, Col. 1653.

24. Quinley and Glock , Op. Cit., P.168.

(****) يؤشر التاريخ الاول سنوات حياته ، والثاني سنوات حكمه .

25. Judaica , Vol. 15, Col. 1653.

الاستيطان في عصر فجر السلالات :

وإذا ما بدأنا بتتبع تأريخ الاستيطان في المنطقة المحيطة بمدينة بغداد في الوقت الحاضر منذ أقدم العصور، فإننا نبدأ بعصر فجر السلالات، عصر ازدهار الحضارة السومرية، فإننا نجد العديد من المراكز الحضرية السومرية المهمة المنتشرة شرقي بغداد ولاسيما عند حوض نهر ديالى، ومنها مدن مثل تل اسمر و تل اجرب وخفاجي والتي بلغت مساحات بعضها أكثر من ١٠ هكتارات، يبدو منها أن المنطقة الممتدة شرقي بغداد حول حوض نهر ديالى كانت من المناطق الحضرية المهمة جدا في وسط العراق، علما أن هناك دلائل تشير إلى أن نهر ديالى كانت له مصبات أخرى على نهر دجلة تصب إلى الشمال الغربي من المجرى الآن نحو ٢٠كم تقريبا أقرب إلى بغداد تأسست حولها العديد من المراكز الحضرية والقروية[١].

أما على نهر الفرات شمال غربي بغداد فإن هناك على الأغلب مراكز حضارية ترجع إلى المدة نفسها أقربها إلى مدينة بغداد موقع تعرف بقاياه حاليا باسم تل جوخه مقابل موقع الانبار الذي يمتد قبالته عند الجهة الثانية لنهر الفرات، ويبدو من حجم ذلك المستوطن ومن عمارة مبانيه أنه كان موقعا سومريا مهما يتوسط المسافة بين مدينة سبار جنوبا وموقع تل اسود عند مدينة الرمادي شمالا[٢].

إن وجود تلك المواقع الأثرية من عصر فجر السلالات بهذه السعة دليل على أهمية المنطقة وعلى ارتباطها وعلاقتها الوثقى بالمراكز الحضرية المنتشرة جنوب العراق.

الاستيطان في العصر الأكدي :

أما في العصر الأكدي فقد شهدت المنطقة حول مدينة بغداد استيطانا موسعا ولاسيما شرقي مدينة بغداد قرب حوض نهر ديالى، وبالرغم من عدم معرفتنا بموقع العاصمة أكد إلا أن اغلب الدراسات الأثارية تشير إلى أن موقعها يتوسط بلاد الرافدين في منطقة ما بين مدينة سبار جنوبا (٤٥ كم جنوب غرب مدينة بغداد) و إلى شمالي مدينة بغداد تقريبا وطبقا للمسوحات التي أجراها روبرت أدامز في